

٩ - شاعرنا العالمي

أبو العتاهية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

زهده وتكلم بالشعر : كان أبو العتاهية مع زهده لا يترك التكسب

بشعره ، وإذا رجعتنا إلى حاله في ذلك وجدناه لم ينقطع عن بيتي المياس وقبول جوائزهم من عهد المهدي الذي ابتداء اتصاله بهم فيه ، إلى عهد المأمون الذي انتهت فيه حياته ، وقد طعن عليه بذلك في زهده كثير من منافسيه في الشعر وغيره ، وحملوا ذلك منه على الرياء والمخادعة ، وقد أشد المأمون بيت أبي العتاهية يخاطب سلما الخنسر :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

فقال المأمون : إن الحرص لفسد الدين والروءة ، والله

ما عرفت من رجل قط حرصاً ولا شرهاً فرأيت فيه مصطنعاً .

فبلغ ذلك سلماً فقال : ويلي على الخنث الجراد الزنديق ، جمع

الأموال وكثرها ، وعباً البيدر في بيته ، ثم زهد سراة وثقاتها ،

فأخذ يهتف بي إذا تصدبت للطلب . واجتمع أبو العتاهية مع

جماعة عند قسمة بن جعفر بن سليمان فأخذ ينشد في الزهد ، فطلب

قثم الجناز فأحضر اليه وأبو العتاهية ينشده ، فأنشأ الجناز يقول :

ما أقبح التزهيد من واعظ زهد الناس ولا يزهد

لو كانت في تزهيده صادقاً أنحى وأسى بيته المسجد

يخاف أن تنفد أرزاقه والرزق عند الله لا يتنفد

والرزق مقسوم على من ترى يتاله الأبيض والأسود

فالتفت أبو العتاهية اليه فقال من هذا ؟ قالوا الجناز ، وهو

ابن أخت سلم الخنسر ، اقتص لخاله منك ، فأقبل عليه وقال له :

يا ابن أخي لم أذهب حيث ظننت ولا ظن خالك ولا أردت أن

أهتف به ، وإنما خاطبته كما يخاطب الرجل سديقه ، فأنشده بقوله

لكما ، ثم قام

وحدث حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه قال : كنت

في مجلس خزيمة جري حديث ما يسفك من الدماء ، فقال والله

مالنا عند الله عذر ولا حجة إلا رجاء عفو ومفقرته ، ولولا عن

السلطان وكراهة القلة ، وأن أصير بمد الرأسة سوقاً وتاباً بمد

ما كنت متبوعاً ، ما كان في الأرض أزهده ولا أعبد مني ، فإذا

هو بالحاجب قد دخل عليه برقعة من أبي العتاهية فيها مكتوب :

أراك امرءاً ترجو من الله عفوهُ وأنت على مالا يحب مقيم

ندل على التقوى وأنت مقصر أيا من يداوى الناس وهو سقيم

وإن امرءاً لم يلبه اليوم عن غد تخوف ما يأتي به الحكيم

وإن امرءاً لم يحمل البر كثره وإن كانت الدنيا له لمديم

فغضب خزيمة وقال : والله ما للمروف عند هذا للمتوه

الملحف من كنوز البر فيرغب فيه حر . فقيل له وكيف ذاك ؟

فقال لأنه من الذين يكثرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في

سبيل الله

وقد كان أبو العتاهية يجمع إلى أخذه بهذا التكسب القهاب

في البخل إلى حد يمكن منه خصومه فشوهوا به زهده أيضاً ،

وله في بخله نوادر كثيرة ، وأخبار مأثورة ، قال ثعلبة بن أشرس

أنشدني أبو العتاهية :

إذا الرمال يمتقن من المال نفسه تملكه المال القنى هو مالكة

ألا إنما مالى الذى أنا متفق وليس لى المال القنى أنا تاركة

إذا كنت ذامال فبادر به الذى يحق وإلا استهلكته سهالكة

فقلت من أين قضيت بهذا ؟ فقال من قول رسول الله صلى

الله عليه وسلم : إنما لك من مالك ما أكلت فأضيت ، أو لبست

فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت . فقلت له أتؤمن بأن هذا قول

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق ؟ قال نعم ، قلت فلم

تجسس عندك سبماً وعشرين بكرة في دارك ولا تأكل منها ولا

تشرب ولا تركى ، ولا تقدها ذخراً اليوم فقرك وقاقتك ؟ فقال

يا أبا من والله إن ما قلت لهو الحق ، ولكنى أخاف الفقر والحاجة

إلى الناس . فقلت وبم تزيد حال من افتقر على حاله وأنت دائم

الحرص ، دائم الجمع ، شحيح على نفسك ، لا تشتري اللحم إلا

من عيد إلى عيد . فترك جواب كلامي كله ، ثم قال لي والله لقد

اشتريت في يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم ،

فلما قال لي هذا القول أضحكني حتى أذهلني من جوابه ومعاتبته ،

فأمسكت منه وعلت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام

وحدث محمد بن عيسى الخزيمي وكان جار أبي العتاهية قال :

كان لأبي العتاهية جار يلتقط النوى ، ضعيف سيء الحال ، متجمل

عليه ثياب ، فكان يمر بأبي العتاهية طرفي النهار ، فيقول أبو

العتاهية اللهم أغنه عما هو بسبيله ، شيخ ضعيف سيء الحال عليه

قال : مر القاسم بن الرشيد في موكب عظيم ، وكان من أتبيه الناس ، وأبو التاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق ، فقام أبو التاهية حين رآه إعظاماً له ، فلم يزل قائماً حتى جاز فأجازه ولم يلتفت إليه ، فقال أبو التاهية :

يقه ابن آدم من جملة كأن رحا الموت لا تطحنه فسمع بعض من كان في موكبه ذلك فأخبر به القاسم ،

فبث إلى أبي التاهية وضربة مائة مقرعة ، وقال له : يا ابن الفاعلة أترض بي في مثل ذلك الموضع ؟ وحبسه في داره ، فقس أبو التاهية إلى زبيدة بنت جعفر وكانت توجه له هذه الآيات :

حتى متى ذوالتيه في تيهه أصلحه الله وطاقه
يقه أهل التيه من جهلمهم وهم يموتون وإن تاهوا
من طلب العز ليق به فان عز المرء تقواه
لم يتمم بالله من خلقه من ليس يرجوه ويخشاه

وكتب إليها بحاله وضييق حبسه ، وكانت ماثلة إليه فرقت له ، وأخبرت الرشيد بأمره وكتبته فيه ، فأحضره وكساه ووصله ، ولم يرض الرشيد عن القاسم حتى برأها التاهية وأداناه واعتذر إليه وحدث محمد بن عيسى قال : كنت جالسا مع أبي التاهية إذ مر بنا حميد الطوسي في موكبه ، وبين يديه الفرسان والرجالة ، وكان يقرب أبي التاهية سوادى على أتان ، فضربوا وجه الأتان ونحوه عن الطريق ، وحميد واضح طرفه على معرفة فرسه ، والناس ينظرون إليه يصحبون منه وهو لا يلتفت تها ، فقال أبو التاهية :

لموت أبناء بهم ماشئت من صلف وتيه
وكانني بلوت قد دارت رحاه على بنيه
فلما جاز حميد مع صاحب الأتان قال :

ما أذل المقل في أعين الناس من لاسلاله وما أقناء
إعما تنظر الميون من الناس من إلى من ترجوه أو تخشاه
وقد كان أبو التاهية في آخر أمره يحاول جهده أن يجعل جوائز الملوك وغيرهم إليه في نظير هدايا يتقدم بها إليهم ، كما كان يفعل ذلك مع الأمين والمأمون فيما ذكرنا في ترجمته ، وهو في ذلك يشمر بسمو منزلته إلى منزلتهم ، ويرفع عن ذلك التكسب الذي كان يأخذ به في أول أمره ، وإن كان على تلك الطريقة التي لم يكن لها أثر ميب في نفسه

وأما بخله فنتقد أنه لم يصل فيه إلى ذلك الحد الذي يؤثر فيه ما أثر عنه من تلك النوادر وغيرها ، وإنما ذلك من اختلاق

نياب متجمل ، اللهم أعتنه ، اصنع له ، بارك فيه ، فبقى على هذا إلى أن مات الشيخ نحواً من عشرين سنة ، فقلت له يوماً يا أبا إسحاق إنى أراك تكثر العطاء لهذا الشيخ ، وترغم أنه فقير مقل ، فلم لا تتصدق عليه بشيء ؟ فقال أخشى أن يستاد الصدقة ، والصدقة آخر كسب البد ، وإن في العطاء خيراً كثيراً

وقال علي بن مهدي حدثني الحسين بن أبي السرى قال : قيل لأبي التاهية مالك تبخل بما رزقك الله ؟ قال والله ما تبخلت بما رزقني الله قط ، قيل له وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يحصى ؟ قال ليس ذلك رزقي ، ولو كان رزقي لأنفقته

وقال محمد بن عيسى قلت لأبي التاهية أتزكي مالك ؟ فقال والله ما أنفق على عيالي إلا من زكاة مالي ، فقلت سبحان الله ، وإنما ينبغي أن تخرج زكاة مالك إلى الفقراء والمساكين ، فقال لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقر منهم

فأما تكسب أبي التاهية بالشعر فلا شيء فيه عندي مع أخذه بذلك الزهد ، لأن الزهد في الإسلام لا يمنع صاحبه من الأخذ بالأسباب والسعى في الحصول على الرزق ، والتكسب بالشعر سبب من تلك الأسباب ، والشعر فن من الفنون التي لا غنى للدولة عنها ، فيجب أن يأخذ حظه من الأموال التي تجبي فيها ، ويجب على أرباب الدولة أن يمسطوا أيديهم بالمطاء لرجاله ، ليتوفروا على إجادته ، ويتضافروا في النهوض به ، وليس على الشعراء من حرج إذا لم يصل نصيبهم من ذلك إليهم أن يتلطفوا في الوصول إليه بمدح الملوك والوزراء ، وكذا غيرهم ممن في أيديهم تلك الأموال ، وإنما يذم التكسب بالشعر إذا بالغ صاحبه في الإلحاح به ، وجعله كل غاية من الشعر ، فعمله ذلك على الاتواء في سبيله ، واتخاذ الشعر أداة شريفة للناس ، يقب الحقائق بينهم ، ويحمل في سبيل المال الباطل حقاً والحق باطلاً ، والظلم عدلاً والعدل ظلماً ؛ وقد تكسب الشعراء بشعرهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له شعراء يمدحونه وينصرون دعوته ، وينافقون عنه أعداءه ، ويردون عنه هجاءهم بالحق إذا هجوه بالباطل

ولم يكن شاعراً أبو التاهية بحيث يصل به التكسب بالشعر إلى هذا الحد ، وقد مضى لنا في ترجمته ما يؤيد ذلك له ، وكم له من مواقف مشهودة مع ملوك عصره وأمرائه ، لم تنسه فيها جوائزهم أن ينكر عليهم ما يستحق الإنكار منهم ، أو يفضب نفسه إذا رأى منهم أقل تهاون به . حدث الحسين بن أبي السرى

في اللغة والادب

٢ - المثنيات

في التاريخ والجغرافية والفلك

للأستاذ محمد شفيق

(الأخشبان) هما جبلا مكة اللصقان بها : أبو قبيس والأحمر ، وهو الجبل الشريف وجهه على قميقتان ، والأخشب في اللغة هو لجبل الخشن العظيم ، ويقال هو الذي لا يرتقى علوه . وهما جبلا منى . وقيل هما الأخشب الشرق والأخشب الغربى ، فالشرق أبو قبيس والغربى جبل الخُط من وادى إبراهيم . قال أبو عبيد : وأخشبا المدينة حرثاها

(البونان) بفتح الموحدة وسكون الواو : موضعان باليمن البون الأعلى والبون الأسفل ، وهما متصلان من أعمال صنعاء ، ويقال إن فيهما البئر المعطلة والقصر الشيد المذكوران في القرآن الكريم (الخراتان) نجان من كواكب الأسد ، وقيل كوكبان بينهما قدر سوط وهما كتفا الأسد ، وقيل سما بذلك لتفوذهما إلى جوف الأسد

(الزبانان) هما كوكبان نيران ، وهما قرنا المقرب ينزلها القمر ، وهما مفترقان بينهما أكثر من قامة الرجل في رأى العين ، ويسميهما أهل الشام يدى المقرب ، ويقال لها زباني الصيف ، لأن سقوطهما في زمن تحرك الحر

(الشرطان) نجان من الخيل وهما قرنا

(الشرقان) بالواوى الأخضر من دمشق وهما الجانيان المتقابلان شرف أعلى وهو الشمالى وأدنى وهو القبلى ، وبينهما الوادى والنهران بردى وبانياس . ويقال : فلان حاز الشرفين أى شرف الأب والأم

(النوطتان) بدمشق معروفتان قلبية وشالية

(الصفصاقتان) معروفتان عند المشقيين ، وهما : شجرتا صفصاف بالوادى التحتاني ممدتان للتزهر ذكرهما الشعراء المتأخرون في أشعارهم فمنهم الأمير المنجكي حيث قال :

خصومه ومنافسيه عليه ، ليشوهوا منه تلك الصيحة البمدوية في الزهد ، ويظهروه في مظهر من يقول بما لا يفعل ، فلا يتأثر الناس بدعوته ، ولا ينظرون إلى أقواله ، ولا شك أنه يشفع لأبي التاهية في ضنه بما له أنه كان رجلاً شاعراً يجمع ماله من أيدى اللوك والمظاه ، ويبدل في ذلك ماء وجهه على ما كانت عليه نفسه من عزة ورفعة ، فإذا ضن به بعد هذا فأنما يحمله على ذلك أن يكون دائماً في غير حاجة ملحة إلى من يحاول أن يشتري شمره بها ، فيسير فيه كما يشتهي هو لا كما يشتهي غيره ، وقد كان أبو التاهية دائماً مهتماً من أجل هذا بالجرمان ، وعرضة للتضييق والسجن واستباحة المال ، فهو يجمع من ذلك ما يجمع ليجده في وقت حرمانه ، ويضن به على من لا يجده في ذلك الوقت إلا عدواً له أو شامتاً فيه ، وقد كان يجد من الناس ماساء به ظنه فيهم ، وآثر به العزلة عنهم ، وكان له فيهم مذهب غريب يقضى بتبخيلهم كلهم ، فهو يقارضهم بخلاً يبخل ، ويضن عليهم ضناً بضن ، قال مخارق : لقيت أبا التاهية على الجسر ، فقلت له : يا أبا اسحاق أنت تدنى قولك في تبخيل الناس كلهم ؟ فضحك وقال لى : ها هنا ؟ قلت : نعم ، فأشدنى :

إن كنت متخذاً خليلاً فتنق وانقذ الخليل
من لم يكن لك منصفاً في الود قابغ به بدبلا
وربما سئل البخير لشيء لا يسوى فتبلا
فيقول لا أجد السيد لى إليه بكره أن ينبلا
فلذاك لا جعل الآل له إلى خير سيلا
فأضرب بطرفك حيث شئت فلن ترى إلا بخيلا

فقلت له : أفطرت يا أبا اسحاق ، فقال : فديتك فأكذبني بجواد واحد ؟ فأجبت موافقته ، فالتفت عينا وشبالاً ، ثم قلت : ما أجد ؛ فقبل بين عيني وقال : فديتك يا بني ، لقد رقت حتى كنت تسرف

وهكذا مضى أبو التاهية عظيماً لم يزره بخله ولا تكسبه بشعره ، كما أزرى ذلك بغيره ، ولو أن ذلك أزرى به كما زعمه خصومه لما كان لنصور بن المهدي أن يعد إليه يده لزوجته إحدى ابنتيه ، وقد كان لأبي التاهية بنتان : أحدها « لله » والأخرى « بالله » ، فخطب منصور منه « لله » فلم يزوجها ، وقال : إنما طلبها لأنها بنت أبي التاهية ، وكأني به قد ملها فلم يكن لى إلى الانتصاف منه سبيل ، وما كنت لأزوجها إلا باتع خرف وجرار ؛ ولكنى أختاره لها موسراً ما عبر المجال الصميدى